

وقد كان همام يحب امرأة أخرى حين التقى بسارة فى بيت ماريانا : يحبها الحب الذى جعله ينتظر الرسالة أو حديث التليفون كما ينتظر العاشق موعد اللقاء ، وكانا كثيراً ما يتراسلان أو يتحدثان ، وكثيراً ما يتباعدان ويلتزمان الصمت الطويل إيثاراً للتقية واجتناباً للمقال والقييل وتهدة من جماح العاطفة إذا خافا عليها الانقطاع . ولكنهما فى جميع ذلك كانا أشبه بالشجرتين منهما بالإنسانين ، يتلاقيان وكلاهما على جذوره ، ويتلامسان بأهداب الأغصان ، أو بنفحات النسيم العابر من هذه الأوراق إلى تلك الأوراق ..

كانا يتناولان من الحب كل ما يتناوله العاشقان على مسرح التمثيل ، ولا يزيدان .

وكان يغازلها فتومىء إليه بإصبعها كالمندرة المتوقعة ، فإذا نظر إلى عينيها لم يدر أتستزیده أم تنهاه ، ولكنه يدرى أن الزيادة ترتفع بالنغمة إلى مقام النشور .

وكان يكتب إليها فيفيض ويسترسل ، ويذكر الشوق والوجد والأمل ، فإذا لقيها بعد ذلك لم ير منها ما ينم عن استياء ، ولم يسمع منها ما يدل على وصول الخطاب ، وإنما يسمع الجواب باللحن والإيماء دون الإعراب والإفصاح .

وربما تواعدا إلى جلسة من جلسات الصور المتحركة فى مكان لا غبار عليه ، فيتحدثان بلسان بطل الرواية وبطلتها ، ويسهبان ما احتملت الكناية الإسهاب . ثم يغيران سياق الحديث فى غير اقتضاب ولا ابتسار .